مسرحية

بيسان

تأليف: هاني قدري

إهداء

إلى الغراب

الذي علم قابيل كيف يواري سوأة أخيه

الشخصيات:

بيسان: طبيبة نفسية

مراد: والد بيسان

ماجدة: والدة بيسان

أكرم: طفل سوري

أسامة: والد أكرم، يظهر كرجل كبير وكطفل وهو يتذكر (من الممكن أن يؤدي ولده أكرم دوره فترة طفولته)

أم أسامة

أخ أول: شقيق أسامة

أخ ثان: شقيق أسامة

الجار

الدفان

دكتور سراج

المشهد الأول

(المسرح مُظلم إلا من بقعة ضوء تتوسطها شرفة منزل بيسان، تقف بيسان البالغة من العمر خمسة أعوام مع والدها (مراد)، يحمل مراد مجموعة من أصص الزرع غير المنبتة، يقوم بتوزيع الأصص ورصها في الشرفة، تنظر بيسان إلى أبيها والأصص ويبدو عليها الغضب الشديد، في الخلفية أغنية الزهور للفنان محمد فوزي تنطلق عبر المذياع بصوتٍ خافت جدًا)

مراد : ما رأيك في بيتنا الجديد يا بيسان؟

بيسان : بصراحة لا يعجبني، لقد كان بيتنا القديم أجمل منه؛ لأنه كان مليئًا بالورود الجميلة الملونة.

مراد : بإذن الله سأملأ لكِ هذه الشرفة بالورود.

بيسان : وأين الورد الذي قلت ستحضره معك اليوم؟!

مراد : **(يشير إلى أصص الزرع غير المنبتة)** إنه أمام عينيكِ.

بيسان : **(ترتسم ملامح الغضب على وجهها)** هل تظن أني مازلت طفلة صغيرة بمقدورك أن تضحك عليها **(تبسط كف يدها اليمنى وتعد أصابعه مستعينة بيدها اليسرى)** لقد كبرت وصار عمري الآن خمس سنوات، وأعرف الفرق جيدًا بين الورد والطين.

مراد **(يبتسم ويمسك ببخاخ الماء ويبدأ في سقي الطين)** غدًا بإذن الله سيصبح هذا الطين وردًا.

بيسان : **(مُستنكرة)** كيف؟!

مراد : غدًا سترين **(يشير إليها بسبابته)** بشرط ألا تتعجلي **(يعطي بيسان البخاخ الذي في يده)** هيا اسقي الطين بنفسك.

بيسان : **(تبدأ في رش الطين بالماء)** لكن هذا الطين لونه واحد، ومؤكد سيخرج لنا وردًا لونه واحد مثله وأنا أريد وردًا له ألوان كثيرة كالتي كانت في بيتنا القديم.

مراد : قلت لكِ لا تتعجلي.

بيسان : **(تتوقف عن الرش)** لكني غير مقتنعة أنَّ هذا الطين سيصبح وردًا مُختلفةً ألوانه.

مراد : **(يطوق بيسان بذراعه الأيسر)** ألم تدرسي في الحضانة أنَّ كل البشر مخلوقون من طين؟

بيسان **(تهز رأسها لأعلى وأسفل دلالة على الموافقة)** نعم.

مراد : **(يضع يده اليمنى على يد بيسان التي تُمسك بالبخاخ ويضغط بسبابته على سبابتها؛ لتعاود رش الطين بالماء)** وهل كل البشر الذين ترينهم حولك سواء هنا أوفي بلدنا القديمة يشبهون بعضهم البعض؟

بيسان : بالطبع لا، فأشكالهم مختلفة.

مراد : وطباعهم أيضًا مختلفة.

بيسان : وما الطباع هذه؟

مراد : الطباع هذه هي، هي..

(يصمت مراد محاولًا البحث عن تعريف للطباع، يقطع صمته صوت ماجدة)

صوت ماجدة يا مراد، كفاك سقي للطين أنت وابنتك، وتعاليا ساعداني في تنظيف المنزل أو إعداد الطعام.

مراد : **(يشير إلى مصدر صوت ماجدة ويتحدث بصوت خافت)** هذا هو اختلاف الطباع يا بيسان، فهناك بشر يسقون الطين ليصبح وردًا وآخرون يبحثون عمن يساعدهم في تنظيف المنزل وإعداد الطعام **(يربت على كتف بيسان)** هل فهمتي شيئًا؟

بيسان : **(تحرك رأسها يمينًا ويسارًا)** لا.

مراد : غدًا ستكبرين وتفهمين، والآن هيا نساعد أمك في صنع الطعام.

بيسان : اذهب إليها وحدك؛ لتساعدها، أما أنا فسأظل هنا في الشرفة أسقي الطين حتى يصبح وردًا.

يخرج مراد بينما تظل بيسان ترش الطين بالماء، تخفت الإضاءة تدريجيًا ويصاحبها ارتفاع تدريجي لصوت أغنية الزهور لمحمد فوزي ثم تُظلم الإضاءة للحظات لتعود فنجد بيسان أصبحت فتاة في الثلاثين من

عمرها تتوسط الشرفة التي صارت ممتلئة بالورود الجميلة مختلفة الأشكال والألون وتمسك ببخاخ وترش الزهور في سعادة وهي تردد الأغنية.

صوت ماجدة : يا بيسان، كفاكِ سقي الورود، وتعالي ساعديني في تنظيف المنزل أو إعداد الطعام؛ لتأكلي قبل أن تذهبي إلى مجانينك في العيادة.

بيسان : **(تتوقف عن الرش ويتوقف معها الأغنية)** قلت لكِ بدلًا من المرة الواحدة مئات المرات إنّهم مرضى نفسيون وليسوا مجانين.

إظلام

المشهد الثاني

المسرح مقسم لثلاث أقسام، في منتصف عمق المسرح توجد عيادة بيسان يحدها من اليمين باب يطل علي باحة منزلها وعلي اليسار باب يطل علي باحة منزل أسامة (والد أكرم).

إضاءة على عيادة بيسان، حجرة يتوسطها مكتب أمامه كرسيان، على يسار المكتب باب خشبي صغير يفصل بين منزل بيسان وعيادتها، الباب يأخذ نفس شكل الحائط لدرجة تشعرك أنه جزء منه، على يمين المكتب يوجد كرسي استرخاء (شيزلونج) وإلى جواره باب خشبي، تجلس بيسان خلف مكتبها، يدخل وأسامة وأكرم.

بيسان : **(مُبتسمة)** تفضلا بالجلوس.

(يجلس أسامة وأكرم)

بيسان : **(تنظر إلى ورقة تعارف موجودة أمامها)** أهلًا يا أكرم، كيف حالك؟

(أكرم لا يرد وينظر إلى أبيه نظرات مليئة بالغضب)

بيسان : لماذا لا ترد عليّ؟

(يستمر أكرم في صمته ويأخذ دفقة شهيق يكتمها داخل صدره)

بيسان : يبدو أنك لاتريد الحديث معي؟

(يدير أكرم وجهه عن بيسان ويخرج دفقة الشهيق التي كتمها داخل صدره)

أسامة : أجب على الدكتورة يا أكرم.

(يستمر أكرم في صمته مع تزايد نظرات الغضب إلى والده)

بيسان : **(لوالد أكرم مداعبة)** يبدو أنك أغضبته بشدة يا أستاذ أسامة **(تنظر في ورقة التعارف)** مكتوب في ورقة التعارف أنك تهوى الكتابة، فما رأيك تجيب عن أسئلتي بالكتابة مادمت لا تريد الحديث؟

أكرم : أنا أهوى الرسم **(ينظر إلى أبيه بتحدٍ)** أخي أكرم هو مَنْ يهوى الكتابة.

بيسان : **(مُتعجبة)** غريبة!! كيف تحمل أنت وأخوك نفسك الاسم؟!

أكرم : **(بنبرة تحدي واضحة)** اسمي عمر وليس أكرم.

بيسان : ولماذا دونت اسمك في ورقة التعارف باسم أكرم؟!

أكرم : **(يشير إلى والده)** هو مَنْ دون ورقة التعارف لا أنا.

أسامة : هذه هي المشكلة التي جئنا إليكِ بسببها **(يشير إلى أكرم)** فهو..

أكرم : **(يهب واقفًا مقاطعًا أباه)** لا تصدقيه، سيكذب عليكِ كما كذب على كل الأطباء الذين ذهبنا إليهم قبلك، وسيقول لكِ إنَّ اسمي أكرم وإنَّ أخي وتوأمي عمر مات بعدما تم قذف بيتنا في سوريا بالصواريخ **(يجز على أسنانه ويصرخ في وجه أبيه وهو ينظر إليه نظرات ملئية بالكراهية)** لكنه كاذب.

بيسان : **(تمسك بيد أكرم)** اهدأ يا .. **(تصمت برهة)** يا فنان، ما رأيك لن أناديك من الآن سوى بلقب فنان.

أكرم : **(يأخذ مجموعة أنفاس متعاقبة يرتفع معها صدره ويهبط بقوة)** لن أهدأ إلا إذا وجدت أكرم أخي وأثبت للجميع أني عمر لا أكرم وأن أكرم لم يمت.

بيسان **(لأسامة)** استأذنك، تنتظر في الخارج قليلًا.

(ينظر أسامة لأكرم نظرات حزينة ثم يضع رأسه أرضًا ويخرج في استسلام شديد دون أن ينطق بكلمة)

بيسان : لقد خرج والدك، أظن بإمكاننا الآن أن نتحدث سويًا.

أكرم : وما قيمة الحديث مادمتِ لن تصدقيني؟

بيسان : وما الذي سيجعلني لا أصدقك؟

أكرم : مؤكد ستصدقين أبي ككلِ الأطباء الذين ذهبنا إليهم قبلك.

بيسان : أولًا والدك لم يحكِ لي شيئًا عنك إطلاقًا كي أصدقه أو أكذبه، كل الذي فعله أنه كتب ورقة التعارف هذه **(تمسك بورقة التعارف وتطويها وتُخرج من درج مكتبها ورقة تعارف أخرى وتعطيها لأكرم)** خذ هذه بدلًا منها وأكتب ما تشاء.

(يأخذ أكرم منها الورقة بتردد فتناوله قلمًا فيمسك به وقبل أن يخط شيئًا بالقلم على ورقة التعارف يترك القلم)

أكرم : اسمي عمر، أحب الرسم جدًا أما أخي أكرم فهو يهوى الكتابة، نحن متماثلان في الشكل لحد التطابق، فليس بمقدور أحدٍ أن يفرق بيننا حتى أبي نفسه، أما في الطبع فنحن مختلفان تمامًا فأكرم هادئ جدًا، خجول

يحب العزلة ليس له أصدقاء، أما أنا اجتماعي جدًا لي أصدقاء كثر لذا كان أكرم يعتمد علي في كل شيء.

بيسان : ولماذا لم يأتِ معكما إلى إلى مصر؟

أكرم : لا أعلم، لكني على يقين أنه لم يمت كما يدعي أبي.

بيسان : بحكم قربك من أخيك، أين تتوقع أن يكون الآن؟

أكرم : **(يفكر قليلًا)** مؤكد يلعب معي الغميضة.

بيسان : **(متعجبة)** الغميضة!!

أكرم : نعم **(يبتسم)** فقد كنا كثيرًا ما نلعبها سويًا، كان أكرم يُغمي عينيه بكلتا يديه **(يغمي عينيه بكلتا يديه)** ويردد بصوتٍ عالٍ "عشرة .. عشرين .. تلاتين .. أربعين .. خمسين .. ستين .. سبعين .. تمانين .. تسعين مية .. خلاويص" في هذه الأثناء كنت أبحث عن مكان أختبئ فيه منه وأظل أقول "لسة" إلى أن أجد مكانًا أختبئ فيه، وقتها كنتُ لا أرد عليه؛ حتى لا يعرف مكاني من مصدر صوتي، فيزيح أكرم يديه عن عينيه **(يزيح يديه من على عينيه)** ويبدأ رحلة البحث عني في كلِ مكانٍ بالبيت **(مُفتخرًا)** كنت أجيد الاختباء منه في أماكن لم يكن يتوقع أن أختبئ بها، ولم أختبئ في مكان أكثر من مرة، كنت أدعه يبحث عني ولا أخرج إلا حين أسمع صوت بكائه، فحين أسمع صوت بكائه كنت أخرج على الفور وأحتضنه وأقول أنا الفائز وأنت الخاسر، الغريب أن أكرم لم يحزن يومًا لخسارته بالعكس كان

فـي غايـة السـعادة ويحتضـني ويقـول "لـيس المهـم أن أخسـر المهـم أن تظـل بجـواري دائمًـا" **(يقــف)** مؤكـد هـو الآن يختبـئ منـي؛ محـاولًا تعـويض كـل هزائمـه فـي لعبـة الغميضـة أمـامي **(تفـر الـدموع مـن عينيـه)** ليتنـي ماعلمتـه لعبــة الغميضــة، لا أعلــم لمــاذا نعــذب أنفســنا بلعبهــا، تخيلــي أنَّ شخصــين يحبـان بعضـهما الـبعض ولا يسـتطيع أحـدهما أن يسـتغني عـن الآخـر فـي هـذه الحيـاة، وفجـأة يختفـي أحـدهما تاركًـا الآخـر يبحـث عنـه وينـادي عليـه بصـوتٍ عال دون أي رد.

(تخفـت الإضـاءة تـدريجيًا أثنـاء حـديث أكـرم إلـى أن يُظلـم المسـرح إلا مـن بقعـة إضـاءة باهتـة تصـحب بيسـان وهـي تتجـه باستسـلام تـام ناحيـة البـاب الخشـبي المطـل علـى باحـة منزلهـا والـذي تفتحـه لينتقـل المشـهد مـن خـلال الإضـاءة إلـى منـزل بيسـان حيـث يجلـس مـراد علـى كرسـيه يتصـفح ألبـوم صور وهو يستمع لمقطع أغنية لمحمد فوزي:

"من يوم ما كلمته فى القلب خبيته

وفعينى نيمته وبرمشى غطيته

وبايدى سلمته الروح وحبيته

من قلبى علمته الصبر وكويته

لا انا قادر احكيله ولا قادر اشكيله

وأخاف أناديله لا تبان ليه أسرارى

تعب الهوى تعب الهوى قلبى"

صوت ماجدة **(تنادي)** يا مراد **(يعلو الصوت)** يا مراد **(يعلو الصوت أكثر)** يا مراد.

(تدخل ماجدة على مراد ويبدو عليها الغضب)

ماجدة : **(غاضبة)** لماذا لا ترد يا مراد، لي وقت طويل أنادي عليك؟

مراد : والله لم أسمعك يا ماجدة **(بأسى)** لقد صار سمعي ثقيلًا كما تعلمين.

ماجدة : أسمعك الذي صار ثقيلًا أم أنك صرت تسمع ما يحلو لك فقط، لو كانت بيسان هي التي تنادي عليك من مالطا لسمعتها.

مراد : **(يضحك)** أتغارين من ابنتك يا ماجدة؟

ماجدة : **(تقع عين ماجدة على ألبوم الصور الذي يُمسك به)** أنت تعلم جيدًا ممن أغار كما تعلم ممايغضبني يا مراد.

(يلحظ مراد نظراتها إلى ألبوم الصور فيرتبك ويغلقه محاولًا إخفاءه)

ماجدة : ما الذي ذكرك بهذا الألبوم يا مراد؟

مراد **(مرتبكًا)** لا شيء، لقد وقعت عيني عليه بالصدفة فقلت أتصفحه.

ماجدة : **(بأسى)** الصدفة تأتينا ولا نذهب إليها يا مراد.

مراد : كعادتك تهولين كل الأمور البسيطة، والله أحبكِ كما أنتِ يا ماجدة.

(تدخل بيسان عليهما وهي ترتدي ثياب الخروج)

بيسان : إحم ، إحم، آسفة قطعت عليكم هذه اللحظة الرومانسية.

ماجدة : **(مرتبكة)** منذ متى وأنتِ هنا؟

بيسان **(تقلد صوت مراد)** منذ والله أحبك كما أنتِ يا ماجدة **(تنظر في ساعة يدها)** سأدعكما تحبان في بعضكما البعض، أما أنا **(تشير إلى الباب الخشبي الفاصل بين منزلها وعيادتها وبأداء تمثيلي)** سأخترق حدود ذلك الباب الخشبي التراثي العتيق حاملة في عقلي كل أفكار سيجموند فرويد وكارل يونج وجان بياجيه وأتجه إلى عيادتي حيث ألقى هناك مرضاي؛ لأستمع إليهم وأحمل عنهم بعض ضغوطات الحياة.

مراد : وما أجمل أن نخفف عن بعضنا البعض ضغوطات الحياة! أتعلمين إنَّ الطبيب النفسي هذا هو الأجدر بلقب ملاك الرحمة.

بيسان : لهذا كنت تريدني أن أصبح طبيبة نفسية **(تضحك)** أتعلم كلما أخبرتُ أحدًا أنّك أهديتني كتابًا لسيجموند فرويد حين كان عمري خمسة أعوام كمكافأة لي على تعلم الحروف الأبجدية لا يصدقني.

مراد لقد كان لدينا في بلدتنا القديمة عشرات الكتب لسيجموند فرويد ولغيره ليتنا أحضرناهم معنا.

ماجدة : **(تجز على أسنانها من الغيظ)** يبدو أنك لا تريد أن يمر هذا اليوم على خير يا مراد.

بيسان : **(تمسك ماجدة من وجنتيها)** اهدئي يا ماجدة، يبدو أني حسدتك.

ماجدة : وعلام ستحسدينني؟

بيسان : **(تنظر نظرة حب إلى أبيها)** على مراد طبعًا، وهل يوجد في هذه الدنيا ما يستحق الحسد غيره، أتعلمين كم أتمنى أن أتزوج شخصًا مثله حنونًا، يستطيع بابتسامته أن يذيب كل أحزان النفس.

ماجدة وإن لم تجدي رجلًا مثل أبيكِ هل ستظلين هكذا بدون زواج، لقد تعبت يا بيسان، كلما حضرت عرسًا أشعر بغصة داخل قلبي، لقد توقفت عن حضور الأفراح خوفًا أن أكون أحسد أصحاب العُرس دون قصدي.

بيسان : يبدو أنكِ بحاجة إلى الذهاب لطبيب نفسي.

ماجدة ولِمَ أذهب إلى طبيب نفسي وأنتِ هنا؟

بيسان : **(ترفع نظارتها بيدها)** إذن سأحدد لك موعد جلسة استماع لنعرف العلاج.

ماجدة : لستِ بحاجة إلى جلسة استماع، فأنا أعرف علاجي جيدًا، علاجي أن تتزوجي وأراكِ في بيت زوجك.

بيسان : **(مازحة)** ما أصعب المريض الذي يأتي إلى الطبيب حاملًا معه الداء والدواء **(تنظر إلى ساعتها)** يجب أن أنصرف حالًا فقد تأخرت على العيادة **(تعطي ظهرها لمراد وماجدة وتتجه ناحية الباب الخشبي المطل على عيادتها)**

مراد : لماذا كنتِ تنادي علي يا ماجدة؟

ماجدة : **(بغيظ)** نسيت يا مراد.

(تعطي ماجدة ظهرها لمراد، فيمسك بألبوم الصور ويتصفحه ثم يضغط على صوت الكاسيت لنسمع مقطع أغنية لمحمد فوزي:

"أحبابنا مازلنا

فاتحين منازل

و قعدنا نستنا

نطلب و نتمني

ولا جم يشوفونا"

(يتنهد مراد ويأخذ نفسًا عميقًا ويرجع برأسه للخلف ويسقط ألبوم الصور من يده دلالة على موته في نفس اللحظة التي تفتح فيها بيسان الباب الخشبي المطل على عيادتها لينتقل المشهد من خلال الإضاءة إلى عيادتها حيث تقف خلف أكرم الذي مازال جالسًا على كرسيه ويتحدث)

أكرم : ليتني ماعلمته لعبة الغميضة، وليتنا ماعرفناها ولا لعبناها.

بيسان : **(تربت على كتف أكرم من الخلف)** فعلًا الموت يشبه كثيرًا لعبة الغميضة، لكن في اللعبة سيظهر المختفي حتمًا مهما طال غيابه ليعلن فوزه أما في الموت فالغياب فيه طويل جدًا وليس علينا سوى الانتظار حتى نلحق بمن غاب.

أكرم : لكن أخي لم يمت.

(صوت موسيقى جنائزية يبدأ منخفضًا ثم يعلو تدريجيًا تخفت معه الإضاءة إلا بقعة إضاءة قوية مسلطة على أكرم، وأخرى باهتة تميل إلى لون الشفق مسلطة على بيسان تصحبها وهي تتحرك حتى تفتح الباب الخشبي المطل على باحة منزلها لينتقل المشهد من خلال الإضاءة إلى منزل بيسان ليصبح المشهد موازي لحديث أكرم ويمكن حدوثه عن طريق التعليق الصوتي)

أكرم : أليس الميت يُغسل؟

(جسد مراد ممددًا على شيء مجهز للغُسل، جسده مغطى بقماش أبيض اللون، لا يظهر منه سوى وجهه ورأسه فقط، الابتسامة تعلو وجهه، يقف إلى جواره شيخ ملتحٍ يسد أذن وأنفى مراد بالقطن ثم يمسك بليف مرغى بصابون، يضع يده تحت القماش الذي يغطى جسد مراد ويُغسله ثم يرش عليه الماء، وفي الخليفة صوت لشيخ يقرأ قوله تعالي: "الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"

أكرم ألا يُكفن الميت؟

(يقوم الشيخ الملتحي ببسط الكفن الأبيض على جسد مراد كله باستثناء وجهه، تتحرك بيسان ناحية جسد أبيها الممدد ببطء شديد لدرجة تشعرك أنها واقفة في مكانها ولا تتحرك، تصل إلى أبيها، ترفع يدها المرتعشة

وتضعها على وجه أبيها، تتحسس ملامحه بأطراف أناملها وكأنها تتعرف عليه ثم ترفع يدها عن وجه قليلًا، ينتهز الشيخ المكفن الفرصة ويغطي وجه مراد)

أكرم : ألا يُصلى الميت عليه؟

نسمع صوت قادم من ميكرفون مسجد بالقرب من منزل بيسان: صلاة الجنازة على من حضر من أموات المسلمين **(يعلو صوت الشيخ)** الله أكبر **(صمت)** الله أكبر **(صمت)** الله أكبر **(صمت)** الله أكبر **(ترفع بيسان يدها مع كل تكبيرة كهيئة مَنْ يصلي الجنازة)**

أكرم : ألا يُدفن الميت؟

: **تقف بيسان شاردة ونسمع صوت الشيخ:** ادعوا لأخيكم، إنه الآن يسأل، اللهم ثبته عند السؤال **(نسمع صوت للمشيعين يرددون كلمة آمين)** اللهم أبدله دارًا خير من داره وأهلًا خير من أهله وزوجًا خير من زوجه وولدًا خير من ولده **(تضع يدها على أذنها بمجرد دعاء الشيخ وولدًا خيرًا من ولده وتفتح الباب الخشبي بسرعة كهيئة الهارب وينتقل المشهد إلى العيادة بمجرد دخولها فيقف أكرم ويستدير ليصبح في مواجهة بيسان الواقفة خلفه وتقاسمه بقعة الضوء)**

أكرم : لماذا لا تردي علي ألا يُغسل الميت، ويُكفن ويُصلى عليه ويُدفن؟

بيسان : **(تهز رأسها والعبرة تتملكها)** نعم، يُغسل، ويُكفن ويُصلى عليه ويُدفن ثم لا نراه بعدها ثانية سوى في أحلامنا **(بأسى)** هذا إن زارنا.

أكرم : وإن كان أكرم أخي لم يحدث معه كل هذا، فأنا لم أره يُغسل أو يُكفن أو يُصل عليه أويُدفن، فهل بذلك يكون مات؟

(بيسان تحرك رأسها يمينًا ويسارًا وهي شاردة الذهن ولا تتحدث)

أكرم : **(يشير إلى الخارج)** إذن أخبري أبي أن أخي لم يمت، أخبريه أنه يلعب معي الغميضة كعادته، أخبريه أنه يختبئ هنا أو هناك وسيظهر حتمًا سيظهر **(يضع يداه على عينيه)** خلاويص .. خلاويص **(يزيح يديه عن عينيه ويتحرك في أرجاء الغرفة بشكل عشوائي ومع كل جزء يتحرك إليه أكرم تتسع بقعة الإضاءة لتشمل هذا المكان)** أين أنت يا أكرم؟ **(يتجه ناحية المكتب وينظر خلفه)** مؤكد خلف هذا المكتب **(ينظر خلف المكتب فلا يجده فيتجه ناحية الشيزلونج)** إذن قد يكون اختبأ تحت هذا الشيزلونج **(ينظر تحت الشيزلونج فلا يجده فيتجه ناحية الدولاب)** ما دام لا هنا ولاهنا فقد يكون في الدولاب **(يفتح أكرم الدولاب بقوة ويفرغه من محتوياته)**

(يدخل والد أكرم الغرفة بسرعة ويمسك بأكرم ويخرجه من الغرفة ثم يعود إلى بيسان)

والد أكرم : أنا آسف .. آسف جدًا.

بيسان : لا داعي للأسف، بإذن الله موعدنا الأسبوع القادم في نفس الموعد **(تنظر إلى ورقة التعارف ثم إلى النتيجة المعلقة على الحائط والمدون عليها تاريخ اليوم الثالث من يونيو)** ما رأيك نجعل موعدنا بعد غدٍ؟

والد أكرم : **(ينظر إلى النتيجة)** إنَّ بعد غدٍ سيوافق الخامس من يونيو وهذا يوم عيد ميلاد..

بيسان : **(تقاطعه)** أعلم، قرأت تاريخ ميلاده في ورقة التعارف، وأتمنى ألا تلفت نظره لهذا، ولا تتاخرا عن موعد الزيادة، وأستأذنك أن تجعله يدخل وحده وتنتظره بالخارج كما فعلنا اليوم.

والد أكرم : **(يهز رأسه في استسلام شديد)** تمام يا دكتور، تمام

(يُظلم المسرح إلا بقعة ضوء مسلطة على النتيجة ويد بيسان تسحب ورقة تلو الأخرى ببطء إلى أن تصل إلى الورقة المكتوب عليها الخامس من يونيو والتي تتسع بعدها رقعة الضوء بالتدريج لتشمل حجرة الكشف في عيادة بيسان بأكملها لنجد الحجرة مزينة بالكامل ومليئة بالبالونات وزينة عيد الميلاد وفي الخلفية أغنية محمد فوزي: "يانور جديد في يوم سعيد .. ده عيد ميلادك أحلى عيد"

(يدخل أكرم ويتلفت حوله مُتعجبًا)

أكرم : ماهذا؟!

بيسان أليس واضحًا أنها زينة عيد ميلاد؟

أكرم : واضح، لكن..

بيسان : **(تقاطعه)** أنسيت أن اليوم هو عيد ميلادك؟

أكرم : وكيف عرفتِ؟

بيسان : كان مكتوبًا في ورقة التعارف.

أكرم : ألم تطوِها أمامي؟

بيسان : طويتها لكني قبل أن أطويها قرأت تاريخ ميلادك وحفظته وهذا لأنه تاريخ مميز جدًا فالخامس من يونيو هذا هو..

أكرم : **(يقاطعها)** ذكرى نكسة 67.

بيسان : **(محاولة إبداء حزنها)** بل لأنه يوم ميلادي أنا الأخرى.

(يبتسم أكرم لبيسان ابتسامة مصطنعة)

بيسان : يبدو أنك لا تصدقني، سأثبت لك حالًا **(تمسك بحقيبتها الموضوعة على مكتبها وتخرج منها جواز سفرها وتفتحه وتشير إلى المكتوب داخله)** انظر لتتأكد بنفسك

(ينظر أكرم إلى لون جواز السفر غير مهتم بالنظر لتاريخ ميلادها)

أكرم : إنَّ جواز سفرك فلسطيني وليس مصري.

بيسان : نعم، فأنا مولودة في فلسطين في مدينة صغيرة بالقرب من بيسان، والتي أسموني على اسمها، وجئت مع أبي وأمي إلى مصر منذ كان عمري خمسة أعوام.

أكرم : وهل جئتم من فلسطين هاربين مثلنا؟

بيسان : لا أعلم السبب الحقيقي لمجيئنا لكني لا أظن أننا جئنا هاربين.

أكرم : ولماذا تركتم وطنكم إذن؟

بيسان : لا أعرف **(تصمت برهة)** تخيل لم أفكر أن أسأل أبي أوأمي يومًا عن سبب تركنا بلدنا ومجيئنا إلى هنا؟

أكرم : غريبة!

بيسان : فعلًا غريبة، يجوز لأني كنت صغيرة وقتها ولم يكن يشغل بالي سوى السؤال عن ورد حديقتي الذي تركته في قريتي.

أكرم ألهذه الدرجة تحبين الورد؟

بيسان جدًا، فقد تركت في قريتي حديقة جميلة جدًا مليئة بالورود مازلت أتذكر شكلها حتى الآن.

أكرم : **(يبتسم)** وأنا الآخر كان لدينا في سوريا أسفل بيتنا شجرة صغيرة ظللت أسقيها أنا وأخي حتى كبرت وصارت فروعها بمحاذاة شرفتنا، وأخذ الطير يعشش فيها فصرنا نسقيها ونسقي الطير ونطعمه حتى صاروا لنا أصدقاء **(بأسى)** لكن في النهاية فارقناهم، ولا نعلم إن كانوا ما زالوا هناك أم هجروا هم أيضًا أعشاشهم.

بيسان : **(تبتسم محاولة تغير الحديث)** لقد سرقنا الوقت وكنت سأنسى أن أعطيك هديتك.

أكرم : **(يشير إلى نفسه متعجبًا)** هدية لي أنا!

بيسان نعم.

(تُخرج بيسان علبة هدايا من تحت مكتبها وتعطيها لأكرم)

أكرم **(يأخذ الهدية ويضعها بجواره دون اهتمام)** شكرًا لكِ.

بيسان عفوًا، ألن تفتحها؟

أكرم سأفتحها في البيت.

بيسان : ولِمَ لا تفتحها الآن؛ لأعرف رأيك فيها؟

(يفتح أكرم العلبة وينظر داخلها وتبدو عليه الصدمة)

بيسان : يبدو أن الهدية لم تعجبك.

أكرم : بالعكس، إنها جميلة جدًا.

بيسان : إذن أخرجها من العلبة.

(بيدٍ مرتعشة يُخرج أكرم كراس الرسم والألوان من علبة الهدايا)

بيسان : والآن يا فنان، أريد أن أرى إبداعك الفني، فليس لك أي حجة معك كراس الرسم والألوان، هيا ارسم ما يحلو لك.

(يبتسم أكرم ويهز رأسه دلالة على الموافقة)

بيسان : هيا أمسك بالكراس والألوان وارسم الآن.

أكرم : **(مُتعجبًا)** الآن.

بيسان : نعم.

(يبدأ أكرم في الرسم، وتخفت الإضاءة عليه تدريجيًا إلى أن يسود الظلام لينتقل المشهد إلى منزل بيسان من خلال الإضاءة لنجدها تجلس على نفس الكرسي الذي كان يجلس عليه مراد قبيل وفاته وتتصفح ألبوم الصور الذي كان يمسك به والبسمة تعلو وجهها، تدخل عليها ماجدة وتنظر إلى بيسان ويبدو عليها الصدمة)

ماجدة : من أين أتيتِ بهذا الألبوم يا بيسان؟

بيسان : من مكتب مراد، رحمة الله عليه.

ماجدة : ومَنْ أبلغك بمكانه؟

بيسان : هو شخصيًا.

ماجدة : مراد!

بيسان : نعم، هو بعينه، فقد حلمت به بالأمس، كان وجهه منيرًا كالبدر، سألني عن سبب شرودي فحكيت له حالة طفل عندي بالعيادة فأخذ يضحك بقوة، لأول مرة أرى مراد يضحك بهذه الطريقة رغم أن حالة الطفل التي حكيتها له تستدعي البكاء لا الضحك، وبعدما توقف عن الضحك أمسكني من يدي ودخل بي غرفة مكتبه **(تشير إلى ألبوم الصور)** وأخرج هذا الألبوم من وسط الكتب وأخذ يتصفحه وقال "انظري يا بيسان لهذه الصور" فعاتبته بلطف وقلت "بدلًا من أن تساعدني في إيجاد حل لمشكلة الحالة التي

حدثتك عنها تريد مني مشاهدة ألبوم صور، فربت على كتفي وقال "شاهدي الصور وستجدين فيها الفرج صدقيني، وإن لم تصدقيني فاسألي ماجدة"

ماجدة : **(مُتلهفة)** وماذا قال لكِ أيضًا؟

بيسان : للأسف لم يقل شيئًا؛ فقد استيقظت من النوم، وفور استيقاظي توجهت إلى مكتب مراد، والعجيب أني وجدت الألبوم في نفس المكان اللي أخرجه منه في الحلم، وأخذت أتصفح الألبوم فلم أجد فيه الفرج كما قال، فالألبوم كله ليس به سوى صوركِ أنتِ ومراد.

(تأخذ ماجدة دفقة شهيق كبيرة وتكتمها داخلها)

ماجدة : أخبريني بقصة الطفل الذي تقومين بعلاجه.

بيسان : غريبة، لأول مرة تسألين عن أحد حالاتي!

ماجدة : وهل سبق أن حدثتيني عن أحدهم ورفضت سماعك؟!

بيسان : سأحكِ لك رغم أن هذا يُعد إفشاء لأسرار المرضى **(تبتسم)** لكنكِ محل ثقة، جاءني العيادة طفل سوري اسمه أكرم، مات أخوه التوأم عمر، وهو لا يصدق وفاته، وليست هذه المشكلة لأني كثيرًا ما جاءتني حالات لأشخاص يعانون من أزمات نفسية بسبب عدم تصديقهم موت أحبابهم، المشكلة الأكبر أن أكرم يدعي أنَّ اسمه عمر الذي هو اسم أخيه **(مرتبكة لشعورها بعدم قدرتها على إيصال المعلومة)** ببساطة أكرم يريد أن يعيش بشخصية عمر **(تنظر لأمها الشاردة)** يبدو أنكِ لم تفهمي مني شيئًا.

ماجدة : بالعكس فهمت جيدًا.

بيسان : **(تمسك بالألبوم)** الغريب أني تصفحت الألبوم فلم أجد فيه الفرح كما قال مراد، فالألبوم كله ليس به سوى صوركِ أنتِ ومراد لكن الجيد أنكِ جئتِ إليّ بقدميكِ لأسألك.

ماجدة : عمَ؟

بيسان : لا أعلم، لكن مراد قال في الحلم وإن لم تصدقيني فاسألي ماجدة **(تبتسم)** وأنا لابد أن أنفذ وصية مراد.

ماجدة : **(تأخذ دفقة شهيق كبيرة ثم تخرجها بقوة وكأنها تستجمع بها قواها)** وأنا سأجيبك دون سؤال، مادامت هذه وصية مراد **(تصمت برهة)** لو كنتِ دققتِ النظر جيدًا في الصور لاكتشفتي أن التي مع مراد في الصور ليست أنا.

بيسان : **(تتحدث ببطء كمن يلقي حكمة)** كلنا نرى أن الذي في صورنا القديمة أناس آخرين غيرنا.

ماجدة : هذا الكلام تضحكي به على مرضاكِ لتهوني عليهم أثر الزمن عليهم، لكن التي في الصورة فعلًا مع مراد ليست أنا، فهي شقيقتي التوأم.

بيسان : **(مُتعجبة)** شقيقتكِ التوأم!

ماجدة : نعم، كانت حب أبيكِ الوحيد، كانت طبيبة نفسية وكانت تعالج مراد من أزمة نفسية حلت به بعما تهجيره هو وأهله من بيسان عام 1948، وعالجته وأحبها وأحبته، وتم خطبتهما لكنها توفت فجأة.

بيسان : أنا لا أصدق أذني.

ماجدة : إن لم تصدقي أذنك فلتصدقي لساني.

بيسان : لهذا كان مراد يريدني أن أصبح طبيبة نفسية.

ماجدة : نعم، فمن شدة حبه لها كان يريد أن يراكِ هي، وبالفعل نجح في ذلك، فقد صرتِ نسخة طبق الأصل منها.

بيسان : **(مُتعجبة)** ولماذا وافقتِ على الزواج من مراد وأنتِ تعلمين أنه يحب غيركِ؟ حتى ولو كان غيركِ هذا أختكِ، ولماذا تزوج مراد منكِ من الأساس وهو يحب أختكِ؟

ماجدة : تزوج مني؛ لأنه ظن أني أشبهها في كل شيء لم يكن يدري وقتها أن الشبه ليس مجرد ملامح فحسب، أما أنا فربما أكون فعلت مثل أكرم تمنيت أن أكون مثل أختي في كل شيء وحين رحلت أردت أن أحل محلها لكني للأسف لم أستطع.

(تشرد بيسان ونسمع كلام أكرم معها في العيادة وهو يرن في أذنها)

نحن متماثلان في الشكل لحد التطابق، فليس بمقدور أحدٍ أن يفرق بيننا حتى أبي نفسه، أما في الطبع فنحن مختلفان تمامًا فأكرم هادىء جدًا، خجول يحب العزلة ليس له أصدقاء، أما أنا اجتماعي جدًا لي أصدقاء كثر لذا كان أكرم يعتمد علي في كل شيء.

ماجدة : لم أكن أتخيل يومًا أن أحكي لكِ قصتي هذه، لكن يبدو أن الحلم كان إشارة من والدك أو ربما يكون سببًا في علاج هذا الطفل المسكين؛ حتى لا تتكرر معه نفس معاناتي.

بيسان : **(تهز رأسها)** إذن قد يكون أكرم يفعل كل هذا لرغبته أن يكون مثل أخيه لا لرفضه فكرة موت أخيه كما يظن الجميع **(تهب واقفة وكأن عقرب لدغها)** وقد يكون أكرم صادقًا وأبوه يحمل سرًا داخله كالذي حملتِه عمركِ وخاصة بعدما استطاع أكرم أن يرسم أمامي يوم عيد ميلاده رغم أن والده أخبرني أن هوايته الكتابة لا الرسم.

ماجدة : وما المشكلة أن تكون هوايته الكتابة ويستطيع الرسم؟

بيسان : المشكلة أنَّ الرسمة التي رسمها كانت محيرة جدًا.

ماجدة : وماذا رسم؟

(يُظلم المسرح إلى من بقعة ضوء داخل عيادة بيسان مسلطة على اللوحة التي رسمها أكرم والتي تعلقها بيسان على الباب الخشبي المجاور للشيزلونج وفي الخلفية صوت بيسان وهي تصف اللوحة لأمها)

صوت بيسان : رسم سلكًا شائكًا وطفلًا صغيرًا بدون ملامح له أيادٍ كتيرة يقف على الناحية الأخرى من الأسلاك الشائكة ويحاول جذب ما تبقى من أشيائه الكثيرة العالقة بالأسلاك مثل علم مهلهل بألوانٍ باهتة، حصان لعبة، مسدس مياه، طيارة ورق ووردة بلاستيكة، ويصر على جذب هذه الأشياء رغم أنها

صارت مهلهلة بفعل الأسلاك الشائكة، ولم أستطع أن أحدد من رسمته إن كان سبق له الرسم أم لا حتى الأستاذ الجامعي المتخصص الذي أحضرته ليرى الصورة ويحكم عليها قال.. **(تتسع الإضاءة لتشمل العيادة بأكملها لنجد بيسان تنظر إلى الصورة ويقف بجوارها دكتور سراج)**

دكنور سراج : **(يتفحص اللوحة)** اللوحة فكرتها جميلة جدًا.

بيسان : السؤال الأهم بالنسبة لي دكتور سراج هل صاحب هذه الرسمة يبدو من خلالها أنه أول مرة يرسم أم سبق له الرسم.

دكتور سراج : **(تبدو عليه الحيرة)** الأمر محير جدًا، فقد يكون مَنْ رسمها هذه أول تجربة له في الرسم لأن الخطوط متعرجة جدًا وغير ثابتة وقد يكون شخص متمرس جدًا وقصد جعل الخطوط متعرجة هكذا؛ ليعبر عن حالة التشظي وعدم الاستقرار التي يعيشها.

بيسان : وما الاحتمال الأرجح؟

دكتور سراج : أن يكون سبق له الرسم **(ينظر في ساعته)** يجب عليّ أن أنصرف الآن، وأتمنى أكون أفدتكِ.

بيسان : جدًا، شكرًا لك.

دكتور سراج : العفو، بالتوفيق.

(ينصرف دكتور سراج)

بيسان : **(تحدث نفسها)** يبدو أنه لا مفر أمامي سوى الحديث مع والد أكرم **(تضع الهاتف على أذنها)**

(تخفت الإضاءة تدريجيًا ثم تظلم للحظات وما تلبث أن تعود لنجد أسامة و أكرم يقفان أمام بيسان الجالسة على مكتبها)

بيسان : **(لأكرم)** أهلًا بك يا فنان **(تشير إلى رسمة أكرم المعلقة على الباب)** ما رأيك لقد علقت رسمتك في العيادة **(لأسامة)** أهلًا بك أستاذ أسامة **(تنظر في عين أسامة بقوة لترصد في رد فعله وهي تتحدث)** يجب عليك أن تفخر بأنك والد فنان ورسام كبير.

(ينظر أسامة إلى الرسمة متعجبًا)

بيسان : **(تُخرج من درج مكتبها كراس رسم جديدة وألوان وتناولها لأكرم)** ما رأيك يا فنان ترسم لي لوحة جديدة لأعلقها على هذا الباب **(تشير إلى الباب المُطل على باحة منزلها)**

(يهز أكرم رأسه بحماس دلالة على الموافقة)

بيسان : لكن هذه المرة سترسم بالخارج؛ لأني أريد الحديث مع والدك قليلًا.

(يمسك أكرم بكراس رسمه وألوانه ويخرج)

أسامة : (قلقًا) خيرًا.

بيسان : لا تقلق، بإذن الله خير، تفضل بالجلوس.

(يجلس أسامة)

بيسان : **(تقف وتتحرك تجاه رسمة أكرم)** كم هي رائعة رسمة عمر؟

أسامة : **(متعجبًا)** عمر!

بيسان : آسفة، أقصد ابنك.

أسامة : **(غاضبًا)** اسمه أكرم، ابني اسمه أكرم.

بيسان : أكرر أسفي إن كان هذا أغضبك، وإن كنت أرى أنه لا يوجد مبرر لغضبك هذا، فكلاهما أولادك، ولا فرق بين أكرم وعمر **(تقوم من مكانها وتتحرك حول والد أكرم كهيئة المحاصر)** بمناسبة أنَّه لا فرق بينهما، ألم تفكر في ترك أكرم يدعي أنه عمر، وتتظاهر بأنك تصدقه وتناديه باسم عمر وتريح نفسك من كثرة الذهاب إلى الأطباء النفسيين **(يهم أسامة أن يتحدث فتقاطعه)** رغم أنه يعجبني جدًا إصرارك على الذهاب بأبنك لطبيب نفسي **(تقف في مواجه أسامة)** هل فكرت أن تذهب أنت إلى طبيب نفسي من قبل؟

أسامة : فكرت كثيرًا لكني لم أذهب.

بيسان : ولِمَ لا تذهب؟ **(تبتسم)** ولماذا تذهب من الأساس مادمت هنا في عيادة طبيب نفسي **(تشير إلى الشيزلونج)** أنا مستعدة للاستماع إليك.

أسامة : لقد جئت إليكِ لعلاج ابني لا علاجي.

بيسان : ومَنْ قال إني أراك مريضًا وأريد علاجك، كل ما في الأمر أنك تشكل جزءًا كبيرًا من من مشكلة ابنك، فأنت من وجهة نظره عقبته الوحيدة في أن يصبح أمام الناس عمر لا أكرم.

أسامة : **(يشير إلى نفسه متعجبًا بحرقة)** أنا السبب **(تتملكه العبرة لدرجة تشعرك أنه يكاد يبكي)** أنا السبب.

بيسان : لم أقل أنك السبب في مشكلة أبنك، والدليل أني لن أريدك أن تحدثني عن أكرم أو عمر، كنت أود أن تحدثني عن نفسك، عن طفولتك، عن والديك، وإن لم ترد الحديث فلا مشكلة.

أسامة : **(يأخذ نفسًا عميقًا)** سأتحدث، فأنا بحاجة للحديث، بحاجة لمن يسمعني.

بيسان : وأنا كلي آذان صاغية **(تشير إلى الشيزلونج)** هيا استرخ على الشيزلونج

أسامة : ليس من الضروري، سأتحدث وأنا جالس مكاني.

بيسان : لا تخف، إن صعدت على الشيزلونج لن أطالبك بثمن الكشف

(يبتسم أسامة أسامة ويتمدد على الشيزلونج)

بيسان : من أين تحب أن تبدأ؟

أسامة : من زحلة.

بيسان : **(مُتعجبة)** زحلة!

: نعم، مدينتي التي وُلدت بها بلبنان، عشت بها طفولة هادئة جدًا، إلى أن أصبح عمري أحد عشر عامًا، كنت يومها في سن أكرم تقريبًا.

تُظلم العيادة إلا من بقعة إضاءة مسلطة على أسامة وهو ممدد على الشيزلونج، يمد يده فيفتح باب العيادة الخشبي الذي يطل على باحة منزله الذي يُضاء فنجد بيت قديم بسيط يحمل ملمح تراثي، الشبابيك والشرفات مغلقة بإحكام تام، صوت المذياع يخرج منه القرآن الكريم، على الأريكة يجلس أسامة كهيئة القرفصاء وهو طفل صغير يشبه في ملامحه كثيرًا ابنه أكرم (قد يؤدي أكرم دور والده وهو صغير حسب رؤية المخرج) يغطي أسامة وجهه بكلتا يديه، تدخل أم أسامة ترتدي ثيابًا سوداء.

(يحكي أسامة في العيادة في شكل موازي للأحدث في بيته)

أسامة : وفجأة صار البيت الذي لم يدخله أحد سوانا ممتلئًا بالناس.

(تفتح أم أسامة الباب بصعوبة حيث نسمع صوت التكات المفتاح ثم تفتح ترباس أعلى الباب فيندفع العديد من النساء اللاوتي يرتدين السواد وهن يصرخن فتشير لهن أم أسامة بالتوقف فيتوقفن ويتبعهن القليل من الرجال)

أسامة : يبدو أن سكان الحي كانوا ينتظرون أن تفتح لهم أبواب البيت الوحيد الخفي عليهم في الحي؛ لذا أخذوا يقتحمون بيتنا بعيونهم شبرًا شبرًا.

(يدقق الرجال والنساء النظر إلى البيت بنظرات تحمل الكثير من التطفل)

أسامة : وبعدما فقدوا الأمل أن يجدوا شيئًا غريبًا أو مُختلفًا في بيتنا عن بيوتهم، أخذوا يصوبون نظراتهم تجاهي أنا وأمي، كانت نظراتهم مليئة بالشفقة علي، نظرات الشفقة هذه جعلتني أشعر وكأن بركان يثور داخلي، طالت نظراتهم ولم يوقفها سوى قول أحدهم....

الجار : **(يشير إلى الرجال الجلوس معه)** أظن واجب علينا الآن تغسيل وتكفين المرحوم.

أم أسامة : **(تنظر لأسامة ثم تقول بصوتٍ خاطف)** انتظر، فأولاده قادمون.

(تبدو الصدمة على الجميع بما فيهم أسامة)

الجار : **(يشير إلى أسامة)** وهل للمرحوم أولاد آخرون غيره؟

أم أسامة : نعم، من زوجته الأولى.

(تبدأ النسوة في التهامس بينما أخذ أسامة وأمه يختلس كل منهما النظرات إلى الآخر)

الجار : إذن ننتظر قدومهم، فهم أولى بتغسيل وتكفين أبيهم منا.

أسامة : لحظة أن عرفت بأن لي إخوة أحسست بإحساس غريب، إحساس متناقض لم أفهمه، هل أنا حزين لموت أبي أم فَرِح بأن لي إخوة عوضني بهم الله بعد موت أبي، أخذت أتخيل ما سيحدث في أول لقاء بيني وبينهم، تخيلت أني سأرتمي في أحضانهم وأبكي لأول مرة في حياتي، أحببتهم دون أن أراهم، وجاء إخوتي وليتهم ما جاءوا.

يـدخل رجـلان يبـدو الغضـب الشـديد علـى وجـوههم، يتسـابق الرجـال إليهمـا بمـد أيـديهما للعـزاء فيتجـاهلوهم ويكمـلان سـيرهما فـي غضـب إلـى أن يصـلا إلى أم أسامة وينظران إليها نظرات تحمل الكثير من الكراهية.

أخ أول : **(لأم أسامة بحدة)** أين أبونا؟

(تشـير أم أسـامة إلـى غرفـة أبـيهم دون أن تتحـدث فيتجهـان إليهـا ويغلقـان الباب خلفهما فينزل الرجال أيديهم الممدودة لتلقي العزاء في خجلٍ شديد)

الجار : **(للحضـور)** معـذورون، فوفـاة الأب ليسـت بالشـيء الهـين، ربنـا يلهمهـم الصـبر **(يشـير إلـى الجلـوس)** أظـن ننصـرف نحـن الآن، ونـأتي عنـد الـدفن **(لأم أسامة)** إن احتجتِ شيئًا فنحن موجودن.

: **تقـوم النسـاء ويقفـن صـفًا خلـف بعضـهن الـبعض ويصـافحن أم أسـامة لتعزيتهـا واحـدة تلـو الأخـرى بينمـا يتجـه الجـار ومـن خلفـه الرجـال ناحيـة أسـامة الـذي مـازال جالسًـا كهيئـة القرفصـاء، يجـذب الجـار أسـامة مـن يـده بقوة إلى أن يقف أسامة صالبًا طوله.**

الجار : **(يصافح أسامة معزيًا)** شد حيلك.

(يبدأ بقية الرجال في مصافحة أسامة وتعزيته)

أسامة : لحظـة أن وقفـت أتلقـى العـزاء فـي أبـي شـعرت ولأول مـرة أنـي كبيـر، وتضـاعف هذا الشـعور لـدي حـين رأيـت أمـي تنظـر لـي بطـرف عينيهـا نظـرات مليئـة بـالزهو **(يصـمت برهـة ويأخـذ نفسًـا عميقًـا)** وغادرنـا الجيـران وغادرنـا

معهم الشعور بالأمان في وجودهم، ما أصعب أن تشعر بالأمان وسط الأغراب في حين تفتقده في وجود إخوتك! وخرج أخواتي من غرفة أبي بوجوه أشد غلظة من التي دخلوا بها.

أخ أول : **(لأم أسامة بعنف)** أين أوراق أبينا؟

الأم : **(تشير إلى خزانة صغيرة)** كل أوراقه في هذه الخزانة

أخ أول : **(يسارع بفتح الخزانة)** إنها مغلقة، أين مفتاحها؟

أم أسامة : **(تهم بالحركة تجاه غرفة النوم)** سأحضره لك.

أخ أول : لا ترهقي نفسك، أخبرينا بمكان المفتاح ونحن سنحضره.

أم أسامة : تحت وسادة المرحوم

أخ أول : **(يشير إلى أخيه الثاني)** احضره حالًا.

يدخل الأخ الثاني غرفة المرحوم بينما ينظر الأخ الأول نظرات كره وغضب لأسامة وأمه، تحتضن أم أسامة ابنها وتضمه إليها بينما الأخ الأول مستمر في نظراته التي لا يقطعها سوى خروج الأخ الثاني بالمفتاح ويعطيه له.

(يفتح أخ أول الخزانة ويخرج الأوراق ويتصفحها متلهفًا)

أخ أول : **(يبتسم)** الحمد لله، جئنا مبكرًا قبل أن تتمكن من إخفاء الأوراق أو سرقتها.

أخ ثاني : **(يبلع ريقه مُتلهفًا)** أَتَرَكَ لنا الكثير؟

أخ أول : أربعمائة ألف ليرة.

أخ ثان إذن نصيب الفرد يكون **(يحسب على يديه)**

أخ أول **(يقاطعه)** مائتي ليرة.

أخ ثاني : كيف؟! أنسيت أن لنا أخًا ثالثًا تركناه في البيت **(يشير إلى أسامة وأمه)** وهناك أيضًا هذا الولد وأمه.

أخ أول : **(ينظر في عين أم أسامة لإرهابها)** لم أنس .. فأخونا الذي تركنا في البيت اعتبره مات، والميت لا يرث، أما زوجة أبينا وابنها والذي لا يعلم إلا الله إن كان أخانا أم لا، فيكفي ما حصلا عليه من أبينا وهو على قيد الحياة، هيا انزل ابحث لنا عن أحدٍ يقوم بتغسيل وتكفين أبيك حتى نتمكن من دفنه قبل الفجر.

أم أسامة : **(مُتعجبة)** أستدفنونه ليلًا؟!

أخ أول : نعم، وهل هناك ما يُحرم دفن الأموات ليلًا.

أم أسامة : لا، ولكن.

أخ أول : **(يقاطعها)** ليس هناك لكن، الميت أبونا ونحن أحرار ندفنه وقتما نشاء **(لأخيه بعنف)** لماذا تقف هنا، انزل وافعل ما أمرتك به

(يخرج الأخ الثاني مهرولًا)

أسامة : وجاء المغسل وتم تغسيل وتكفين أبي ووضعناه في النعش ولم يسر به إلى المقابر سوى أنا وأمي وأخويَّ والدفان وولديه الصغيرين، وكانت هذه أول مرة أرى فيها المقابر، تخيلي أول مرة أرى فيها المقابر تكون ليلًا وأدفن

فيها أبي، تلبسني وقتها الشعور بالخوف، لم أكن أدري مم أخاف؟ ولا ممن هل من الظلام أم شكل المقابر أم من إخوتي أم من صوت الغربان وكلام الدفان.

: **يسود الظلام الجزء الخاص ببيت أسامة إلا من ثلاث بقع إضاءة لثلاث كشافات يحملهم الدفان وولداه الصغيران، يظهر فيهما الدفان وأسامة وأمه، يخيم الصمت فلا يقطعه سوى صوتٍ عالٍ لنعيق غراب ينتفض أسامة وأمه فزعين**

الدفان : **(لأسامة وأمه)** لا تخافا.

أم أسامة : إنَّ الصوت مرعب جدًا.

الدفان : ألم تسمعا صوت الغربان من قبل؟

أم أسامة : وهل تسكن الغربان المقابر؟!

الدفان : منذ علم الغراب قابيل كيف يدفن أخاه هابيل، والغربان تأتي هنا إلى المقابر من حين لآخر؛ لتكون شاهدة على كل أخٍ يقتل أخاه.

أم أسامة : أتقصد أنها جاءت لتشهد..

(يقطع حديثها صوت نعيق لأكثر من غراب)

الدفان : يبدو أنه قتل جماعي **(يعلو صوته)** سلم يارب سلم

تمسك أم أسامة بابنها وتتسحب ببطء وتخرج من المقابر ويهم أسامة بالحديث فتضع يدها على فمه لتمنعه من الكلام، وتفتح الباب الخشبي المطل على عيادة لينا التي تُضاء بأكملها.

بيسان : وبعدها طبعًا هربت بك أمك من هذا الحي إلى حي آخر خوفًا أن يقتلك أخواك.

أسامة : بل هربت بي لبلدٍ أخرى، فقد تركنا لبنان بأكملها وذهبنا إلى سوريا

بيسان : وأوهمت نفسك منذ ذلك اليوم بأن الأخ قد يقتل أخاه.

أسامة : ليست أوهاما بل حقيقة، انظري حولكِ، وسترين أن القتل أصبح أسهل لدى البعض من إلقاء السلام، الدم صار يحاصرنا في كل مكان، القاتل في زماننا لم يعد يفرق بين أخ وعدو، الطمع والشر أعمى القلوب قبل العيون، لقد تركت لبنان خوفًا من أن يقتلني أخواي، وهربت من سوريا خوفًا أن يقتلني أناس لا أعرفهم وليس بيني وبينهم أدنى معرفة.

بيسان : إنَّ ما حدث معك استثناء بسبب ظروف الحرب أو صراعات وأطماع بشرية.

أسامة : ليس استثناء، فالشر في الإنسان أصيل، وصعب السيطرة عليه، لقد كان سيدنا آدم نبيًا وقتل ابنه قابيل أخاه هابيل، وسيدنا يعقوب ألقى أولاده أخاهم سيدنا يوسف في الجب.

بيسان : لماذا أنجبت أولاد إذن ما دمت ترى أنك عاجز عن جعلهم يحبون بعضهم البعض.

أسامة : لم أكن أنتوي الإنجاب لكن مع إلحاح زوجتي وافقت.

بيسان : وبالطبع كنت تخطط لإنجاب طفل واحد فقط.

أسامة : بالفعل، لكن كان للقدر رأي آخر وأنجبت زوجتي توأمين، وماتت يوم مولدهما.

بيسان : وخشيت أن يقتل أحدهما الآخر فقررت إبعادهما عن بعضهما البعض، فجئت بأحدهما معك إلى مصر وتركت الآخر هناك، واستغللت الأحداث في سوريا في إقناع ابنك أن أخاه قُتل بعد ضرب بيتكم.

أسامة : ماذا تقولين؟ لقد ذهب بكِ خيالك لبعيد جدًا **(يقف)** يبدو أني أخطأت حين وافقت أن أتحدث معكِ عن نفسي.

بيسان : بل أخطأت أنك لم تدع أكرم يرى أخاه قبل دفنه ويقبل جبينه حتى على الأقل.

أسامة : **(ينهار)** هذا إن كان هناك له جسد يُرى أو جبين يُقبل.

بيسان : وهل هناك إنسان بلا جسد وجبين؟

أسامة : نعم، فحين تُقصف بيوتنا نلملم بقايا أجساد ذوينا من تحت الركام، هذا إن وجدنا لهم بقايا نجمعها، وإن وجدنها نأتي بعودين من الخشب ونعيد ترتيب

مـا لملمنـاه مـن أجسـادهم فوقهـا كمـا يقـوم الأطفـال بترتيـب لعبـة (البـازل) تمامًا، نضع الرأس وبعدها الرقبة ثم الصدر

(قـد يُصـاحب حـديث أسـامة صـورًا لضـحايا الحـروب علـى البـابين، علـى البـاب المطـل علـى باحـة منـزل بيسـان صـورًا لضـحايا الحـرب فـي فلسـطين بينمـا علـى البـاب المطـل علـى باحـة منـزل أسـامة صـورًا لضـحايا القصـف في سوريا والحرب الأهلية بلبنان)

بيسان : **(تنهار باكية)** توقف، لا أريد أن تكمل

أسامة : لا، سـأكمل، أكنـتِ تريـدين منـي أن أجعـل أكـرم يلملـم معـي أعضـاء أخيـه **(يعلـو صـوته)** أكنـتِ تريـدين أن يرانـي وأن أكسـر فـرعين مـن الشـجرة التـي زرعاهـا أمـام البيـت وطالمـا رواهـا هـو وأخـوه وأضـع فـرعين منهـا بجـوار بعضـهما الـبعض وألصـق عليهمـا ماتمكنـت جمعـه مـن جسـد أخيـه حتـى يتسنى لي دفنه ويبدو أمام الناس أن هناك جسد له.

بيسان : توقف أرجوك.

أسامة : **(ينفجر في البكاء)** لن أتوقف، وسأكمل، وستسمعينني.

بيسان : إذن توقف عن البكاء.

أسامة : ولمـاذا أتوقـف عـن البكـاء؟ سـتقولين لأنـي رجـل ألـيس كـذلك، والرجـال فُـرض علـيهم أن تتحجـر الـدموع فـي عيـونهم ويتحملـوا، ملعونـة هـي الرجولـة التـي تجعلنـي أكـتم حزنـي طـوال عمـري، ملعونـة هـي مـا دامـت يبسـت شـعوري

وحرمت عليه دمعة تروي جفاف مشاعري، منذ صغري وأنا أكتم دموعي **(تخفت الإضاءة وتصبح باهتة إلا من ثلاث بقع على شكل مثلث رأسه حيث تقف بيسان وقاعدته يتنقل أسامة بين بقعتي الضوء حيث يتحدث ويتقمص دور الشخص الذي يرد عليه)**

- **(يبكي كهيئة الطفل)** معلمتي، لقد ضربني رفاقي في الفصل.
- **(يقلد صوت معلمته)** لا تبكِ، فالرجال لا يبكون.
- **(يبكي والعبرة تتملكه)** أمي، لقد مات أبي.
- **(يقلد صوت أمه)** إياك أن تبك؛ فأنت رجل البيت من بعده والرجال لا يبكون.
- **(يبكي بانهيار)** صديقي، لقد تركتني محبوبتي وتزوجت غيري.
- **(يقلد صوت صديقه وهو يسخر منه)** أتبكي لفراق امرأة؟!
- **(يبكي وكأنه تائه)** زوجتي، لقد ماتت أمي.
- **(يقلد زوجته)** وإن بكيت أنت ماذا تركت لنا نحن النساء؟
- **(يعلو صوت بكائه ونحيبه)** يا نفسي لقد ماتت زوجتي وتركت لي رضيعين.
- **(يجز على أسنانه مصطنعًا الصبر)** تحمل؛ لتستطيع أن تكمل الحياة مع أولادك.
- يا أهل ضَيعتي، لقد سقط بيتي ومات ولدي.

- **(صوت صدى صوت مكرر يبدو كأنه يصدر من مجموعة من البشر)** تحمل، ولا تبك، فهذا قدرنا.
- **(يصرخ بصوتٍ عالٍ جدًا)** يا أيها العالم، يا من تتشدقون بعبارات الإنسانية والمحبة والمودة، والسلام لقد مات أبي وتركت وطني خوفًا من إخوتي، وارتضيت بوطني الثاني وتركته خوفًا على ولدي، وهنا تطاردني ذكرى أوطاني، مات أبي وبعده أمي وتركتني محبوبتي، وماتت زوجتي ومات ولدي **(يتزايد بكائه)** هل تتكرمون علي بأن أبكي، هل تحنون علي بأن أصرخ هل بمقدوركم أن تسمعون صراخي، وآسف إن سيزعجكم.

(يُطلق أسامة صرخة عالية، يُضاء معها المسرح بأكمله ويفتح معها الباب الخشبي المطل على باحة منزل بيسان وكذلك الباب الخشبي المطل على باحة منزل أسامة، فتدخل من الباب الأيمن ماجدة وهي تحتضن ألبوم الصور ويدخل من الأيسر أكرم حاملًا صور قد رسمها لأبيه بينما تتحرك لينا يمينًا حيث منزلها وتجر الكرسي الذي كان يجلس عليه مراد وتدخله عيادتها ثم تتجه يسارًا حيث منزل أسامة وتجر الأريكة التي كان يجلس عليها وتضعها هي الأخرى في عيادتها)

النهاية